الحرب الإسرائيلية على غزة تدخل الهاوية الأخلاقية

كتبه هوارد فرينش | 4 نوفمبر 2023,

ترجمة وتحرير: نون بوست

منذ ما لا يقل عن أسبوعين حتى اللحظة الراهنة، لا تكف الصحافة عن إخبارنا بشكل متكرر أن الوضع الإنساني في غزة أصبح خطيرًا بشكل متزايد. عبارات مثل هذه وغيرها من الصيغ المماثلة التي تم طرحها على جماهير التلفزيون وقرّاء الصحف لم تكن أبدًا مناسبة لتصوير الواقع الصارخ للدمار في هذه المنطقة التي تعيش تحت وطأة الحصار منذ البداية. أما الآن، باتت هذه النداءات لا تلقى آذانا صاغية بشكل غريب.

بدأت الحملة الانتقامية التي شنتها إسرائيل على الهجوم المفاجئ الذي شنته حماس واحتجاز الرهائن في 7 تشرين الأول/ أكتوبر وسط تصريحات صادمة من قبل السياسيين والدبلوماسيين الإسرائيليين بأن ذلك سوف يتسبب في تدمير غزة ويقضي تمامًا على كل أثر لحماس من الأراضي الفلسطينية المحاصرة. وسرعان ما قُطعت إمدادات الكهرباء والمياه عن سكان غزة الذين يزيد عددهم عن مليوني نسمة، كما انقطع وصول المساعدات الإنسانية حتى اللحظة الراهنة.

في الأيام القليلة الماضية، بدى أعضاء مجتمع الإغاثة الدولي أكثر إقناعا في تأطير الكارثة المستمرة في

غزة. في حديثها على قناة "إم إس إن بي سي" مساء الثلاثاء، وصفت كافيتا مينون، مديرة الاتصالات في منظمة أطباء بلا حدود في الولايات المتحدة، ما حدث بأنه "واحدة من أسوأ الكوارث الإنسانية التي شهدناها على الإطلاق".

ونشرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر المشهورة بالحياد والتحفظ تغريدة قائلة: "إن المعاناة الإنسانية مروعة. قُتل الآلاف. ويعاني الناس من محدودية فرص الحصول على الغذاء والماء. المستشفيات على وشك الانهيار. ممرات المستشفى مليئة بالجرحى والنازحين. ستستغرق إعادة بناء البنية التحتية والمنازل المدمرة سنوات. حتى الحروب لها حدود".

في معظم الحالات، حُيّد مستهلكو الأخبار في الولايات المتحدة وقسم كبير من الغرب من مشاهدة الدمار الواسع النطاق والمستمر الذي ألحقته إسرائيل بغزة وسكانها يومًا بعد يوم من القصف الجوي. ويقدر أحد التحليلات أن ما يصل إلى ربع المباني في شمال المنطقة تعرضت لأضرار أو دمرت مع التأكيد أن معظم هذه المباني كانت تؤوي بشرا، أكثر من نصفهم من النساء والأطفال.

> تبرير إسرائيل الفعلي يرقى إلى حجة مفادها أن جلب الموت والدمار على مئات المدنيين الأبرياء أمر مقبول ما دامت محاولة القضاء على الشرير البغيض ناجحة

إلى جانب هذه الفئات التي تعتبر تقليديًا من الأبرياء في أوقات الحرب، معظم الرجال الفلسطينيين في غزة ليسوا أعضاء في حماس ولم يشاركوا في هجوم تشرين الأول/أكتوبر ضد إسرائيل. وعلى عكس إنكارها العلني، قصفت إسرائيل النصف الجنوبي من غزة على الرغم من أنها حثت الناس من الشمال على الانتقال إلى أماكن أخرى.

على مدى الأسبوعين الماضيين، تبددت المخاوف الإنسانية العالمية بشأن التقارير التي تتحدث عما بدا وكأنه أول كارثة جماعية في حدث واحد في الحرب منذ هجوم حماس في 7 تشرين الأول/أكتوبر – قصف مجمع المستشفى الأهلي في 17 تشرين الأول/أكتوبر – وسط حرب معلوماتية ضبابية بين إسرائيل والفلسطينيين والحلفاء والجماعات المتعاطفة التي تصطف بين كل من هذه الأطراف. تحوّل الاهتمام بالحقيقة المروّعة المتمثلة في احتمال وقوع مائة حالة وفاة أو أكثر إلى لعبة إلقاء اللوم التي لم يتم حلها، على الرغم من أن الأدلة المتاحة في ذلك الوقت، كما كتبت، بدت وكأنها تدعم الرواية الإسرائيلية للأحداث.

مع حتمية قاتمة، شهد هذا الأسبوع أحداثًا مروعة: القصف الكارثي لمخيّم جباليا للاجئين المكتظ بالسكان في غزة. وقد خلّف إسقاط ما يصل إلى ست قنابل إسرائيلية حفرة هائلة ومباني خرسانية متهالكة في محيط واسع. ولكن على عكس قصف المستشفى السابق، الذي لم يعلن أحد مسؤوليته عنه، كان على إسرائيل أن تعترف بسرعة بأنها نفذت الهجوم.

ادعت إسرائيل على الفور تقريبا أنها ارتكبت هذا الهجوم في محاولة للقضاء على أحد مدبري هجوم

7 تشرين الأول/ أكتوبر على حماس على إسرائيل وقد قتلته بالفعل، فيما يبدو أنه يعكس فهمها للمسؤولية الدعائية التي يمكن أن تواجهها بسبب قتل وجرح مئات الفلسطينيين. (وتظل مسألة كيفية تمكنها من معرفة ذلك بهذه السرعة مجهولة). إن تبرير إسرائيل الفعلي يرقى إلى حجة مفادها أن جلب الموت والدمار على مئات المدنيين الأبرياء أمر مقبول ما دامت محاولة القضاء على الشرير البغيض ناجحة. بل إن إسرائيل ضاعفت من هذا التبرير بعد الهجوم الثاني على المخيم في اليوم التالي، إذ قالت إنه أدى إلى مقتل رئيس وحدة الصواريخ المضادة للدبابات التابعة لحماس.

هنا يكمن جوهر المعضلة الأخلاقية في قلب المرحلة الحالية من هذه الأزمة، والنقطة التي دخلت فيها إسرائيل والولايات المتحدة، الداعم القوي لها منذ بداية هذه الأزمة، التي وصلت إلى الهاوية الأخلاقية.

في مقال افتتاحي نُشر في صحيفة "وول ستريت جورنال" قبل يوم واحد فقط من التفجير الأول لمخيم اللاجئين، ادعى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن الهجوم الحالي الذي تشنه بلاده يشكل حربا ضد "أعداء الحضارة ذاتها". لكن المشكلة التي ينبغي أن يوضحها للجميع هو أن اللجوء إلى الوحشية، كتلك التي استخدمتها إسرائيل في حملتها للقضاء على حماس، هو في حد ذاته سلوك غير حضاري ومن المؤكد أنه يزرع بذور المزيد من الوحشية على الجانبين في المستقبل.

> مثل كل الدول، يجب على إسرائيل أن تلتزم بالقوانين والاتفاقيات التي تنظم الحرب، بالإضافة إلى المنطق السليم بالأخلاق والتناسب

صُورت طبيعة الحملة الإسرائيلية بشكل أفضل بكثير في الكلمات التي تحدث بها نتنياهو إلى جمهور محلي مقارنة بالنداء الحضاري الذي وجهه إلى الرأي العام الدولي في مقالته. وقال نتنياهو نقلا عن سفر تثنية 25: 17: "اذكر ما فعله بك العماليق". وكان العماليق، حسب المكتبة الافتراضية اليهودية، عدوًا قديمًا لإسرائيل، وقد ورد وصف اشتباكاتهم مع إسرائيل في عدة مواطن في الكتاب المقدس العبري. والمقطع الكامل الذي اقتبس منه نتنياهو سطرًا من سفر التثنية 25: 17-19، يقول:

اذكر ما فعله بك عماليق في الطريق عند خروجك من مصر، كيف هاجمك في الطريق وأنت منهك ومتعب، وقطع ذيلك، هؤلاء هم المتخلفون عنك ولم يخافوا الله؛ لذلك متى أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك الذين حولك، في الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا لتمتلكها، وتمحي ذكر عماليق من تحت السماء، لن تنسى.

أعقب نتنياهو كلامه بجملة "نحن نتذكر ونقاتل". ومن الواضح أن تشبيه نتنياهو لحماس بالعماليق كان المقصود منه استحضار تاريخ إسرائيل الطويل من الاضطهاد على يد أعداء خارجيين. ومع ذلك، رأى بعض المعلقين على الإنترنت أنها دعوة لارتكاب إبادة جماعية ضد الفلسطينيين بسبب إشارة أخرى إلى العماليق التي تأتي في سفر صموئيل الأول. وجاء في سفر صموئيل الأول 15:

3: "والآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما لهم ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلًا وامرأة، طفلًا ورضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملًا وحمارًا".

على الرغم من أن نتنياهو لم يستشهد فعليًا بهذه الآية في خطابه، إلا أنه بالنسبة للبعض، تظهر أوجه التشابه بين العنف العشوائي الذي تصفه وتصرفات الجيش الإسرائيلي في غزة واضحة لا لبس فيها. كما أن تعليق نتنياهو لم يأت منفردًا، فقد قال وزير الدفاع يوآف غالانت، الذي وصف أعداء إسرائيل الفلسطينيين بأنهم "حيوانات بشرية"، عن غزة: "سوف نقضي على كل شيء". وتعهدت غاليت ديستيل إتباريان، عضو الكنيست التي كانت حتى وقت قريب وزيرة للإعلام في عهد نتنياهو، بأن إسرائيل "سوف تمحو غزة بأكملها من على وجه الأرض"، مضيفة أن "وحوش غزة سوف تطير إلى السياج الجنوبي وتحاول دخول الأراضي المصرية وإلا سيموتون ويكون موتهم شرًا".

من المؤكد أن البعض سيعترض على أن إسرائيل لم يكن لديها خيار في هذا الشأن، ولكن لا يمكنني إلا أن أرجع هذه الفكرة إلى حد ما. من المؤكد أن إسرائيل كان لها الحق في الدفاع عن نفسها في أعقاب هجوم حماس على غلاف غزة واحتجاز الرهائن على نطاق واسع في بداية هذا الصراع. ليس هناك شك معقول في هذا. ففي نهاية المطاف، يظل قادة حماس ـ على الرغم من الإشارة في بعض الأحيان إلى قبول محتمل لحل الدولتين ـ ملتزمين علنًا بتدمير إسرائيل بالعنف".

مثل كل الدول، يجب على إسرائيل أن تلتزم بالقوانين والاتفاقيات التي تنظم الحرب، بالإضافة إلى المنطق السليم بالأخلاق والتناسب. وقد يكون الانتقام على غرار الكتاب المقدس مرضيًا عاطفيًا بالنسبة للبعض، وقد يروق بقوة للعناصر الأكثر تدينًا في قاعدة الزعيم الإسرائيلي المحاصر سياسيًا، ولكن هذا يشكل وصفة للفظائع المتكررة والمستمرة والانتهاك الطائش لأرواح الأبرياء. وفي نهاية المطاف، فهو أيضًا مهين لإسرائيل وكل من يدعمها.

> أي جهد لتهجير السكان إلى مصر يشكل وصفة لتوسيع هذه الأزمة

والحقيقة المتمثلة في صعوبة ملاحقة حماس عسكريًا في المراكز السكانية المكتظة بالسكان في غزة لا تعفي إسرائيل وأولئك الذين يُسلحونها، مثل الولايات المتحدة، من واجب مواصلة حربها بطريقة أكثر خضوعًا للرقابة ومحدودة. ولا يتعلق الأمر فقط بتفجيرات مخيمات اللاجئين وغيرها من الأماكن التي من المؤكد أن يموت فيها الأبرياء بأعداد كبيرة. ويتعلق الأمر أيضًا بضمان عدم انقطاع إمدادات الغذاء والمياه والكهرباء والأدوية والوقود للمستشفيات وغيرها من الضروريات عن السكان المدنيين. وإلا كيف يمكن اعتبار هذا نضالًا صالحًا؟

تثير التكتيكات الإسرائيلية شكوكًا عميقة على مستوى آخر أيضًا. فمنذ بداية الحملة على غزة، تساءل كثيرون عما سيحدث في اليوم التالي، أي بمجرد القضاء على حماس، على افتراض إمكانية تحقيق هذا الهدف. إن الحرمان السابق من الماء والغذاء والكهرباء والوقود، والذي يستمر بعضه حتى اليوم، فضلاً عن قصف مخيمات اللاجئين، يثير تساؤلات حول ما إذا كانت هذه الحرب تهدف

في الواقع إلى إفراغ غزة بالكامل وإجبار سكانها الفلسطينيين على اللجوء إلى مصر. إن وجود وثيقة تدعو إلى مثل هذه السياسة أعدها مكتب حكومي إسرائيلي داخلي، يشير إلى أن هذا الأمر كان قيد المناقشة النشطة من قبل بعض المسؤولين على الأقل في ذلك البلد. إذا كانت هذه شائعات لا أساس لها من الصحة، كما سيصر البعض، فيجب على إسرائيل أن تستبعد ذلك علنًا الآن، ويجب على الولايات المتحدة أن تستمر في القيام بذلك.

أي جهد لتهجير السكان إلى مصر يشكل وصفة لتوسيع هذه الأزمة، وليس بالطريقة التي نحذر منها عادة، أي الهجمات من إيران ووكلائها في لبنان وسوريا واليمن. وطوال الوقت كانت مصر تؤكد أنها لن تقبل أي نهاية من هذا القبيل، ومحاولة إرغامها على القيام بذلك تبدو وكأنها وسيلة مؤكدة وقصيرة النظر لتقويض السلام الذي تقيمه مصر منذ فترة طويلة مع إسرائيل.

إن الطريقة الوحيدة لتحقيق تسوية دائمة للأزمة بين إسرائيل والفلسطينيين هي خلق سبل سلمية للتعبير والسعي إلى تقرير المصير بين الفلسطينيين. وكون هذا الأمر يبدو شبه مستحيل في الوقت الحالي بالنسبة للعديد من الإسرائيليين، الذين ما زالوا يعانون من صدمة عميقة بسبب الأحداث التي وقعت في أوائل تشرين الأول/ أكتوبر، لا يعني أنه من الممكن تجنبه. يتعين على أصدقاء إسرائيل في الغرب أن يبرهنوا على نفس القدر من الالتزام الذي أظهروه في إلحاق الهزيمة بحماس، وإلا فمن المؤكد أن هذه الحلقة من المأساة سوف تتفاقم.

المصدر: فورين بوليسي

رابط المقال : https://www.noonpost.com/178528/